# 5 جورج صاند

**الأديبة الفرنسية التى استطاعت ترك بصمة فى تاريخ الأدب فى القرن التاسع عشر.**

**استخدمت القصة للتعبير عن الرومانتيكية الغنائية، ووصفت المناظر الريفية والعواطف الرقيقة فى موهبة نادرة.**

**عاشت قصص حب جارفة مع الأديب / ألفريد دى موسيه، والموسيقار/ فردريك شوبان.**

**ناضلت من أجل إعلان حقوق الإنسان، ونادت بتحرير المرأة.**

**فى رثائها قال عنها الأديب / فيكتور هوجو: «إننى أبكى وفاة امرأة، وأحيى مولد خالدة».**

**«إن لم أجد طريقى فى الأرض المُعبَّدة، فسأقتحم القمم الصخرية الشاهقة دون تذمر، لأننى أعلم أن كل جهد يتضمَّن فى ذاته الجزء الكافى عنه، وأن الآفاق الواسعة تنتظرنى فى آخر الطريق».**

## الميلاد وذكريات الطفولة

ولدت «أرمادين لوسيل أورورديبان» Armadine Lucile Aurore Dupin (وهذا اسمها الحقيقى) فى الأول من شهر يوليو عام 1804م ببلدة «نوانت» التى تبعد حوالى 250 كيلو متراً من العاصمة الفرنسية باريس، وقد اشتهرت أدبيًّا باسم «جورج صاند». وعاشت أكبر جزء من طفولتها فى ضيعة «نوهان» Nohant وسط ريف «بيرى» Berry الذى كانت تُحبه كثيراً.



obeikandl.com

والدها كان ضابطاً بالجيش الملكى الفرنسى إبان حكم «نابليون بونابرت»، وهو ينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية المثقفة، فكان يستهويه الأدب إلى درجة كبيرة . لقى مصرعه سقوطاً من فوق ظهر جواده فى سبتمبر عام 1808 ؛ ليمثل ذلك الحادث أول صدمة فى حياة الطفلة الصغيرة رغم حداثة سنها، إذ كان عُمْرها آنذاك أربعة أعوام .

أمَّا أمها فهى «صوفى ديلابورد» من أسرة متواضعة تنتمى إلى عامة الشعب، لم تتأثَّر بحياة الترف وإنما كانت أقرب ما تكون للبسطاء، وهذا ما يؤكِّده الكاتب «جونزاج سان» فى كتابه «فى أثر جورج صاند» حيث يقول: «وكلَّما تأكَّد انتماؤها إلى الطبقة البرجوازية العليا تمسكت بمشاعرها الديموقراطية وقربها من الفلاحين والفقراء».

كان الزواج قد تم حينما التقى والدها أثناء الحملة الإيطالية بحسناء فاتنة من النوريات الغجر( جنس رحالة لا أرض له ولا وطن) وقد كانت فى فترةٍ من حياتها تعمل راقصة، ولأن الرجل كان ذا قلب كبير أدرك أن هذه الحسناء المتواضعة قديرة على أن تُحب وأن تهب قلبها مخلصاً لمن تُحب، ولكنه فى الوقت نفسه أشفق من مصارحة أمه الوقورة المتزمتة سليلة أعرق الأُسر الأرستقراطية التى أنجبت الحكام والملوك، فكيف يصارحها بحبه لتلك المرأة وتفكيره فى الزواج منها، فاضطر إلى عقد ز واجهما سراً .

**«جورج صاند» تعيش فى قصر نوهان مع جدتها :**

جورج صاند، بريشة الفنان أوجين لويس شار بنتييه.. سيدة في ثوب أبيض.

بعد وفاة الأب ذهبت «جورج صاند» إلى باريس لتعيش عند جدتها لأبيها، كما تنص قوانين الوصاية آنذاك، فبعد أن نعمت الابنة بالحياة البسيطة بجانب والدتها تستمع إلى أحاديثها عن الغابة المسحورة والجنيات والقديسين وجدت نفسها تحيا حياة الأرستقراطية بعد أن اضطرت الأم إلى ترك طفلتها فى كنف جدتها الثرية كى لا تحرمها من هذا الترف . لم تفهم

«صاند» ذلك فى حينه، كل ما عرفته أن أمها قد تخلت عنها لترضخ على مضض لعادات وتقاليد الأرستقراطية التى صارت جدتها تُلقنها لها، وهكذا عرفت «جورج صاند» قصر «نوهان» بصفة دائمة، بعد أن كانت تقضى فيه فترات الصيف من كل عام فقط .

كانت الجدة صاحبة الأثر الأكبر فى تكوين حفيدتها، لذا فقد جلبت لها المُعلِّمين إلى القصر إن الحياة فى قصر الجدة فى الريف حيث الغابات والأزهار والمروج والحقول، وحكايات الفلاحين المفعمة بالخرافة والأعمال الخرافية، من ذلك كله تلقت «جورج صاند» أول دروسها الإبداعية .

**رحيل الجدة .. وبداية الصراع المحموم بين «جورج صاند» وأمّها «صوفى» !!**

فى ديسمبر من عام 1821 م تموت جدتها لتلقى الصدمة الثانية فى حياتها، وقد تركت لها ضيعة وقصر «نوهان» وثروة لا بأس بها . لقد حرصت الجدة للاطمئنان على مستقبل «جورج صاند» قبل موتها أن أخرجتها من الدير التى كانت تتلقى فيه علومها كى تُعدها للزواج، غير أن أمنية الجدة لم تتحقق .

كان من الطبيعى أن تعود «صاند» إلى أحضان أمِّها من جديد، لتجد نفسها - وكانت لا تزال فى السابعة عشر من عُمْرها - تعيش فى قلب دوامة عاتية من أحقاد الأم وأنانيتها. كانت الأم - وبكل أسف - تكشف كل يوم عن أطماع جديدة حتى صارت هى التى تمتلك كل شيء حتى «صاند» أصبحت ضمن ممتلكاتها، كل شيء تُحبه «صاند» تكرهه «صوفى» الأم، وكل ما تشمئز منه «صاند» تُحبه «صوفى»، امرأة متقلبة، غضباتها هستيرية، تُثير فى البيت دائماً الرعب والتوتر. وعاشت «جورج صاند» فى هذا الجو يُهددها شعور دائم بالخوف . وللهرب من هذه المحنة قررت العيش لدى أسرة واحد من أصدقاء والداها القُدامى يُدعى المسيو «دوبليس» .

**تعليم «جورج صاند» وثقافتها :**

استعانت الجدة فى تعليم «جورج صاند» بنخبة من أفضل المُعلِّمين، ولمَّا وجدت

أن لديها شغفاً كبيراً لتلقى العلم والأدب أقنعوها بضرورة الالتحاق بإحدى المدارس الداخلية التابعة لدير الأوغسطينيين الذى يشرف عليه نخبة من الراهبات الإنجليزيات، وكان الدير يقع فى باريس .

كانت «جورج صاند»، بمُجرَّد الانتهاء من تحصيل دروس اللغة اللاتينية والتاريخ تتجه إلى أحضان الغابات حيث الأشجار الخضراء والزهور المتناثرة على قمم الجبال والصخور الملونة لتؤلِّف حكاياتها الخاصة فى ظل حنين غامض يشدها إلى أمها .

كان ذهنها قد اختزن محصولاً ثميناً يصلح للتأليف، ومع هذا أخذت تُغذى عقلها بقراءة واسعة المدى، متنوعة الألوان، فقرأت فيما قرأت شعراً وتاريخاً وفلسفةً، قرأت لـ « شاتوبريان» كتاب «عبقرية المسيحية»، ثم قرأت لـ «جان جاك روسو» واللورد «بايرون» وغيرهم الكثير.

**زواج قصير.. ينتهى بالطلاق!!**

فى منزل أسرة «دوبليس» تعرَّفت «جورج صاند» على البارون «كاسيمير دوديفان» K. Dudevant الضابط الشاب، كان فى السابعة والعشرين فى حين كانت هى فى الثامنة عشر ؛ لكنه صار يستحوذ على ثقتها يوماً بعد يوم، فلما فاتحها فى الزواج قبلته مرحبة، وتم الزواج فى 10 من سبتمبر عام 1822م، وعادت «صاند» بصحبة زوجها إلى «نوهان» بعد أن أصبحت مدام«دوديفان» . أنجبت منه ابنها الأول «موريس» ثم ابنتها «سولانج» التى تزوجت فيما بعد من أحد فنانى النحت المشهورين.

بمرور الوقت تبيَّنت «جورج صاند» أن بين طباعها وطباع زوجها تنافراً كبيراً، فبقدر ما كانت هى تتذوق الأدب والفن والموسيقى كان هو يجهل هذا كلَّه ولا يعبأ بغير ما يشغل الرجال التافهين !! كما عانت منه الكثير من الإهمال مع خياناته المتكررة علاوة على إدمانه الخمر .

وقد حدث أن قرأت «جورج صاند» مصادفة وصية كان زوجها قد أعدَّها، ففوجئت بقدر كبير من الكراهية والحقد اللذين كانا يكنهما زوجها لها، فكانت هذه هى النقطة

الفاصلة فى حياة الزوجة، إذ قرَّرت هجر زوجها وبدء حياة جديدة من الحرية والاعتماد علي النفس.

**«جورج صاند» تعمل كرسامة، وصحافية، ثم تهتدى إلى كتابة القصة والرواية :**

فى عام 1830م ارتحلت إلى باريس لكى تبحث بنفسها عن عمل، فبدأت تعمل فى رسم اللوحات حيث ترسم الطيور والزهور لتزين بها علب السجائر فتكسب من وراء ذلك بعض المال، ثم نصحها بعض الأصدقاء بأن تحاول الكتابة فى الصحافة فعملت ككاتبة لبعض المجلات والصحف الفرنسية مثل جريدة «لوفيجارو»، ولكن كان يعوزها بعض الصفات الذهنية التى لابد منها للصحافى، ثم كان أن توجهت إلى كتابة القصة والرواية، فكان النجاح العظيم الذى لقيته رواية« إنديانا» التى وقعتها باسم «جورج صاند»

**قصص الحب التى عاشتها «جورج صاند» :**

**قصة حب مع «أورايان دى سيز» :**

فى عام 1823 م بلغت «جورج صاند» حداً من التعاسة والإعياء لم تستطع معه إلاَّ أن تمرض وتذبل فنصحها الأطباء بالارتحال إلى منطقة جبلية، فسافرت إلى بلدة «كوتريه»، وهناك تقابلت مع أول عشاقها وهو «أورليان دى سيز» الذى وقع من فوره أسير هواها، لكنه لم يسألها أكثر من الصداقة الخالصة، وكان أقصى ما ناله «أورليان» منها أن ضمَّها إلى صدره فى عناق عُذرى. استمرت صلتها به بعد أن جدد العهد بأن يتبادلا الحب دون أن تشوبه صلة الجسد .

لكن بمرور الأيام بدأ يدب فى خطابات «أورليان» إليها لون من الفتور والتراخى، فأدركت «جورج صاند» استحالة أن تكون معشوقة ولا تهب عاشقها جسدها .

**قصة حُبَ مع «ستيفان دى جراند ساتى» :**

ظهر فى أفق «جورج صاند» شاب عرفته فى بيت جدتها قبل أن تتزوج يدعى «ستيفان دى جراند ساتى»، وجدت فيه أكثر من سبب يجذبها إليه، يكفى أنَّه أول مَنْ أيقظ فيها عواطف الأنوثة فى صباها، وصارت تراه كثيراً سيما فى فترات تغيُّب زوجها فى باريس، وإذ كثرت الأقاويل عن علاقة مؤكَّدة بين الاثنين، لقد تميَّزت خطابات «صاند» إلى زوجها فى تلك الفترة بالمغالاة العاطفية التى تنغمس فيها النساء الخاطئات نتيجة شعورهن بالإثم من جرَّاء الخيانة الزوجية .

**قصة حب مع «جول صاندو» :**

تعرَّفت «جورج صاند» فى عام 1830 م إلى شاب صغير فى التاسعة عشر من عُمره فى دار بعض الأصدقاء يُدعى «جول صاندو» Joles Sandeay، وقع الشاب فى هواها وأحبته هى بدورها حُبًّا مَلَك عليها مشاعرها، فمنحته نفسها، على الرغم من استمرار زواجها، وقد تحوَّل سريعاً إلى واحد من أهم محبيها. كان «صاندو» بصدد إتمام دراسته الجامعية بباريس، وتمنعه الدراسة من عشق الأدب والحياة الأدبية، التى كانت أحد أهم أسباب تعلُّق «صاند» به، فكما جمعهما الحب جمعهما حب الأدب أيضاً .

حين انتهت فترة العطلة ورحل العاشق إلى باريس أحست «صاند» بفراغ ووحشة كبيرة، وبدأت تُداعب خيالها فكرة اللحاق به إلى باريس، وبالفعل أخبرت زوجها بقرارها الحاسم الذى لا رجعة فيه، لقد اعتزمت أن تقضى نصف العام فقط فى «نوهان» مقر الزوجية، ونصفه الثانى فى باريس، وبذلك تُبقى على رباط الزوجية الزائف من الناحية الشكلية فقط!!

وفى 4 من يناير عام 1831م سافرت «جورج صاند» إلى باريس وكان «جول» فى انتظارها، وسرعان ما جمع الاثنان حولهما صالوناً أدبياً صغيراً من الشباب، وأصبحت

«صاند» ترتدى زى الرجال الذى ألفته فى غابات «نوهان» واختارت الكتابة مهنة تحاول الارتزاق منها،اشترك العاشقان فى تأليف أول رواية لهما بعنوان «ورديٌ وأبيض» Rose and Blanche وكان لـ «صاند» النصيب الأكبر منها، فلاقت فى نشرها رواجاً شجع الأديبة الناشئة على الشروع فى كتابة رواية جديدة بمفردها، وحين نشرت رواية «إنديانا» وحققت نجاحًا كبيرًا، تعاقد الناشرون معها على وضع قصص وروايات جديدة دفعوا لها أجرها مُقدماً، وهكذا وجدت «صاند» نفسها فجأة غنية ومشهورة.

فى تلك الفترة اتخذت لها اسماً أدبياً اشتقته من اسم عشيقها «جول صاندو»، فلماذا لا تطلق على نفسها «صاند» ليتم التوافق بين الاسمين، ثم إذا كان عدد عظيم من الرجال فى ريفها الذى نشأت فيه قد تسموا باسم «جورج» فلماذا لا يكون لها هى الأخرى هذا الاسم مثلهم، إذاً فلتطلق هذه المرأة التى طالما قلدت الرجال على نفسها اسماً من أسماء الرجال وليكن اسمها «جورج صاند»، وبهذا اتخذت هذا الاسم لتصدر به أول روايتين لها، هما : «إنديانا» و «فالنتين»، اللتان نجحتا نجاحاً كبيراً.

وبمرور الوقت بدأت «جورج صاند» تضيق بـ «صاندو» كعشيق لم يمنحها الحب الكافى، فصار جو التوتُر بينهما يزداد كل يوم تكاثفاً، وذات صباح قالت له : مَنْ أنت؟ لماذا أنت فى بيتى؟، بعدها ابتاعت له تذكرة السفر إلى إيطاليا كى تنسى حُبَّها، تماماً كما يتصرَّف أى رجل مع خليلته حين ينتهى كل شيء، ولم يبق لـ «صاند» من أثر هذه العلاقة مع «جول صاندو» سوى الاسم الذى اتخذته لنفسها لتستطيع نشر رواياتها.

**قصة حُبّ مع الأديب ألفريد دى موسيه :**

فى عام 1833 م تعرَّفت «جورج صاند» إلى الكاتب الفرنسى الكبير «ألفريد دى موسيه» المولود فى عام 1810م الذى سرعان ما وقع فى هواها وأصبح عشيقها الأثير. كانت «صاند» فى سن التاسعة والعشرين من عُمرها، وكان «موسيه» فى سن الثلاثة والعشرين.

ألفريد دي موسيه

كانت «صاند» صادقة فى حبها، وأصبحت الأسابيع الأولى لإقامة «صاند» مع هذا الطفل - كما كان يحلو لها أن تطلق عليه - فى ذلك المسكن الذى يطل على أجمل مناظر العالم، مفعمة بالحب والسعادة، شعر أن حلمه قد تحقق فجأة، وأن المرأة التى طالما حلم بها تأتى إليه فى صورة شعرية ملهمة، فاستجاب لها وانقاد لحبها وودع حياة العبث ولياليه الماجنة، وأرادت «صاند» ألاَّ يُنازعها فى حبها إنسان فهو الشاعر ملء الأسماع والأبصار . فى الوقت ذاته أراد «موسيه» أن يباعد بينها وبين مغريات الحياة فى باريس، فهى عبقرية يتحدَّث الناس عنها فى كل مكان، كما يطرون محاسنها الأنثوية ومفاتنها التى أوقعت فى حبائلها مشاهير عصرها. فما كان أن اتفق الحبيبان على السفر إلى إيطاليا والاستقرار فى مدينة حالمة عائمة هى مدينة البندقية ( فينيسيا ). بدأت رحلتهما فى ديسمبر عام 1833م، وقضيا هناك عدة أشهر، ثم بدأت تهب العواصف فجأة ؛ إذ انصرفت «صاند» خلال هذه الرحلة إلى استكمال رواية كانت تؤلفها. فأبدى «موسيه» عنفاً لما كان يلقى من عشيقته من معاملة ضاقت بها نفسه، فراح يدعوها «الملل المُجسم»، ويعتب عليها أنَّها لم تعرف قط كيف توفر له متع الحُبّ ومسراته، وأصاب هذا «صاند» فى مقتل ؛ فراحت ترد التهمة عن نفسها بكل مرارة، فى تلك الأثناء انتابت «صاند» حُمى، فأقصى «موسيه» نفسه عن مخدع المريضة وانطلق وراء نزواته !!

ثم سقط «موسيه» صريع حمى التيفوئيد فاستدعت طبيباً شاباً يُدعى «باجيللو» كان قد عنى بها من قبل، وتحوَّلت على الفور إلى ممرضة فى الليل والنهار، لا تكاد تتاح لها بضع لحظات من الراحة، حتى تعمد إلى أوراقها وقلمها تحاول أن تكتب شيئاً لصحيفة «لوموند» ليرسلوا لها نقود العلاج والدواء والفواتير المتراكمة . لقد تناست نفسها تماماً

وهى تناضل من أجل حياته، حتى تيقنت أنَّه لن يموت فلم يعد هناك ثمة عائق يحول بينها وبين التفكير فى مصيرها ..

كان الطبيب الإيطالى «باجيللو» يجلس غير بعيد عنها صامتاً، يتحسس حرارة مريضه، وكانت «صاند» ما تزال تبحث عن الشيء الذى ينقصها، ماذا تريد ؟ رجل يُحبُّها، لقد وعدها «موسيه» أن يكون هذا الرجل، ثم ما لبث أن هجرها وهى مريضة سعياً وراء نساء فينيسيا، ثم قرَّرت فى لحظةٍ أن تحصل على هذا الطبيب ولم يكن ثمة ما يحول!!

عاد «موسيه» وحيداً إلى باريس حاملاً معه الإحباط والانكسار وخيبة الأمل، وبالرغم من هذا الفراق المرير فلم يكن قادراً على الخلاص نهائيًا من اشتراطات الإرادة، وإملاءاتها فى الوقت الذى امتلكت فيه «صاند» قدراً من الإرادة الحرة، التى مكنتها من الدفاع عن نفسها، دفاعاً قادراً على تأطير التأثيرات التراجيدية للحبِّ وآلامه، وأن مجموعة قصائد «الليالى» التى كتبها من أجل تمجيد علاقته الغرامية مع «صاند» إنما هى فى جوهرها نوبات سيكولوجية ألمت بالشاعر، بعد انقطاع العلاقة وانطفاء جذوة الحُبِّ .

ورغم إبداعات «موسيه» الشعرية والكوميدية والدرامية فقد بقى ينظر إلى «صاند» كأفضل أنموذج بشرى على المستويين الذاتى والموضوعى؛ لأن «صاند» نقلته من المجون والعربدة إلى الرجولة والعظمة والعقلنة . كما أثَّرت بدورها فى إنتاج الشاعر فقد تفجرت عبقريته وحقق شهرة على الصعيد الأوروبى على إثر نشر قصيدة «رولا» فى باكورة عشقه «لصاند»، كما أن روايته «اعترافات فتى العصر» هى عن تلك الفترة من حياته . وقد توفى «موسيه» فى عام 1857، وعُمْره 47 عاماً .

**قصة حُب مع الموسيقار فردريك شوبان :**

شهد عام 1838 م اصطياف «جورج صاند» فى سويسرا مع الموسيقار العالمى «فرنز

فردريك شوبان

ليست» وصديقته مدام «داجول»، بعدها استضافتهما فى قصرها «نوهان»، وكان «ليست» هو الذى قدَّم «صاند» لصديقه الحميم الموسيقار البولندى «فردريك شوبان» المولود فى عام 1809م، والذى بدأ يشتهر فى فرنسا ثم فى أوروبا كلِّها بعد هجرته من وطنه بولندا حيث كانت تتعرَّض لقمع شديد على يد روسيا القيصرية، وسرعان ما وقع فى حُبِّها مثل مَنْ سبقوه .

يُذكر أن «صاند» قد خصصت لشوبان غرفة دائمة فى قصرها، علاوة على مكان لعزف البيانو. وكان قصر «نوهان» قد شهد أكبر تجمع لفنانى العصر وأدبائه أمثال : الكاتب الكبير «بلزاك»، والشاعر الألمانى «هنريش هاينى»، والرسام الشهير «يوجين ديلاكروا» .

كان «شوبان» معتل الصحة، يُهدده مرض السل الرئوى« الدرن»، ولطالما نزف دماً وهو يعزف بأصابعه الرقيقة أجمل ألحانه . ولقد تعذب كثيراً من قسوة الأطباء حتى أنَّه كتب لأحد أصدقائه يقول له : «إنهم يعاملوننى كالحيوان .. فيقول أحدهم: إننى سأموت، ويقول الثانى: إننى على وشك الموت، أمَّا الثالث فيقول: إننى مت فعلاً» .

لقد وعدته «صاند» بالتضحية بحياتها لتمريضه فى سبيل استعادته لصحته، فعملت له كممرضة، وكانت «صاند» فى ذلك الوقت قد حصلت على حضانة طفليها، الأمر الذى جعل» شوبان «يتعلق بها أكثر نظراً لرغبته الدفينة فى الإنجاب والتى لم يستطع تحقيقها!!

سافر «شوبان» مع «صاند» إلى جزيرة «بالمادى مايوركا» الإسبانية بالبحر الأبيض المتوسط، لقضاء الشتاء هناك والاستشفاء، بيد أن الرحلة ضارعت رحلتها السابقة

إلى البندقية بصحبة «ألفريد دى موسيه» فى سوء الحظ والأحوال، فقد كانت المعيشة فى الجزيرة الإسبانية بدائية، ولم يجد اما كانا يتوقعانه من راحة وطقس ملائم لصحَّة «شوبان» ولكن الرحلة أثمرت كتاب «صاند» الشهير «شتاء فى مايوركا»، كما ألهمت «شوبان» عدداً من مقطوعاته الموسيقية.

فى حياتهما معاً بدأت تظهر بعض المضايقات ؛ فـ «شوبان» يكره رائحة التدخين بسبب مرضه، كما لم يستطع مقاربة الخمر للسبب نفسه، فى حين كانت «صاند» شرهة للغاية فى شرب الاثنين معاً، وقد حاولت التخفيف منهما ولكن حالة«شوبان» كانت تسوء، خاصة بعد عودتهما معاً إلى باريس . ثم اكتشفت بمرور الوقت أنه لا يمكن أن تعيش مع «شوبان» أكثر من ذلك، فبدأت تتبرم من خدمته وتمريضه، فقد بدأ أطفالها يكبرون وبدأت هى تذبل وتبحث عن الحياة، كما اقتنعت أن «شوبان» لم يمثل لها سوى الموت، بينما هى تمثل الحياة بكل مفرداتها .

وبدلاً من أن تتركه بهدوء عمدت إلى كتابة رواية سردت فيها قصة حياتها والتى حملت نفس الاسم، حيث أفشت فيها كل أسرارها وعلاقاتها المُتعدِّدة بالرجال، كما أفشت حتى معاناتها معه فى مرضه، وكيف أنَّها ترى الموت فى عينيه كل لحظة !!

وفور أن انتهت «صاند» من كتابة مسودة الرواية ألقتها ليقرأها . لقد فهم «شوبان» على الفور أن «صاند» تريد أن تقطع علاقتها به، ولكن ما أحزنه حقاً ليس مجرد فراقها بعد أن أحبَّها، ولكن هذه الطريقة القاسية فى إنهاء العلاقة !!

عاش «شوبان» عامين فقط بعد رحيل «صاند» عنه، فى وحدة ومرض وعذاب، يتحرَّك جسده كالظل فى قاعات الكونسير بباريس، ولم يكن يحيا منه سوى عقله وأصابعه يرددان أغانى بولندا الحزينة، ويعكسان معاركها فى ميدان الفن والدماء والألم، عقله كان المؤلِّف، وأصابعه العازف، وهما معاً حياته، التى خلقت مدرسة فى الكتابة والأداء الشعرى للبيانو .

لم يدم حزن «شوبان» طويلاً إذ سرعان ما توفى بعد صراع نفسى أكثر منه مرضاً جسدياً، لقد كان ابتعادها عنه وهجرها له سبباً من أسباب التعجيل برحيله لتتحقق بذلك مقولتها الشهيرة : «حُبّ المرأة الشريرة يقتل غيرها، وحُبّ المرأة الشريفة يقتلها هى» .

**أصدقاء وصالون أدبى :**

بالإضافة إلى علاقاتها العاطفية التى عرضناها فإن شاعراً مثل «أوسكار وايلد» قد هام بها، كما تعلّق بها الروائى الإنجليزى الشهير «تشارلز ديكنز» . كذلك تعرَّفت على الممثلة الشهيرة «مارى دورفال» .

هذا وقد أصبح قصرها ملتقى لجميع المثقفين والأدباء أمثال «فلوبير» و«بلزاك» و «ترجنيف»، و «فرانز ليست»، والشاعر الألمانى «هنريش هاينى» .

**مراحل إنتاج «جورج صاند» الأدبى :**

المرحلة الأولى :

كانت «جورج صاند» فى هذه المرحلة تقتفى أثر «جان جاك روسو» و«شاتوبريان» حيث امتدت إليها حمى الرومانتيكية، وكان موضوع قصصها هو الحب وما يُحيط به من عواطف، ونراها تصور الحب القاهر المقدس الذى لا يعرف حدوداً ولا حواجز، وتنقم على المجتمع الذى يضطهد الحب باسم المصلحة والعقل والقانون، فكتبت قصصاً تفيض بالمثالية والرومانتيكية مثل: «إنديانا» Indiana عام 1832 م، و «ليليا» Lélia عام 1833م، ثم «فالنتين» Valentine، و «جاك» Jacques و «موبرا» Mauprat عام 1937م.

أخذت «صاند» فى هذه الروايات تدافع عن العاطفة وما ينبغى أن يكون لها من حق فى التعبير عن نفسها . وفى هذه الروايات بثت «صاند» أسرار قلبها الجريح، فمن الجرم الكبير أن يتم زواج - كزواجها - بغير حب حقيقى، ومن الطغيان أن يستبد الرجل وأن

تستعبد المرأة، إن لكل إنسان فرديته وشخصيته وإنسانيته، رجلاً كان أم امرأة، تلك هى صرخة «صاند» التى بعثتها مدوية فى تلك الروايات.

**المرحلة الثانية :**

فى هذه المرحلة كانت قدماها قد رسختا فى الفن وأناملها قد ثبتت على القلم، وها هنا انفتحت نوافذ نفسها للعالم من حولها، فبدل أن تبث أنينها وشكواها فى رواياتها أخذت تتلقى من العالم الخارجى الدوافع والمؤثرات والآراء والأفكار واختلط فى عقلها شيء من الشعور الدينى بشيء من الحماسة نحو النهوض بالإنسانية كلِّها . كذلك ففى هذه المرحلة ارتبطت «صاند» ببعض الأصدقاء الجدد فتغيَّر منبع إبداعها، تعرَّفت على علماء الاقتصاد والاجتماع أمثال : «بيير لرو» Pierre Leroux ففى ذلك الحين كانت نظريات الاشتراكية العاطفية الخطابية والصوفية تموج فى الفضاء، فكتبت قصصاً اجتماعية وإنسانية كقصة «طحان أنجيبو» Le Meunier d'Angibault عام 1845م، و «خطيئة السيد أنطوان» و «كونسويلو» Consuelo .

**المرحلة الثالثة :**

فى هذه المرحلة لا تريد «صاند» أن تقصر الرواية على تجاربها الشخصية فى حبها وزواجها كما فعلت فى المرحلة الأولى، ولا تريد أن تجعل قصصها أدوات لنشر مذهب اجتماعى كما فعلت فى المرحلة الثانية، إنما أرادت أن تعود إلى مجال الريف لتزور الفقراء فى بيوتهم المتواضعة وترينا كيف يحيا هؤلاء، فتسير بنا فى مماشى الريف وحقوله وعلى مشهد من مناظره، ولم يكن التغنى بمباهج الريف مألوفاً فى الأدب الفرنسى، لكن هذه الكاتبة وجدت تلك المباهج كامنة ومستقرة فى أعماق نفسها وقد تجمعت منذ أيام الطفولة الأولى فأخذت تجتر ذكرياتها على سن قلمها فأنتجت أدباً رائعاً، من أهم رواياتها فى تلك المرحلة : «مستنقع الشيطان» La Mare eu Diable عام 1846م، «فاديت الصغيرة» Petite Fadette عام 1849 م، «فرانسوا اللقيط» Francois

le champi عام 1850م، «ضاربو الأجراس» les Mattres Sonneurs عام 1853 م.

**المرحلة الرابعة :**

وكأنما أرادت «صاند» ألاَّ تسدل ستار حياتها على قصص الفقر والبؤس فانتقلت فى آخر مراحلها إلى ربوع العلية تصورها إلى جانب تصويرها لأبناء الريف البسطاء، كانت قد تقدَّمت بها السن وفاض منها كأس التجارب وازداد قلبها رقة ووداعة، فطفقت تكتب القصص لتروى لأحفادها الصغار، ثم تكتب القصص للناس عامة وكأنهم فى عينيها حفدة صغار أيضاً تروى لهم القصص على النحو الذى تروى به الجدة حكاياتها على الصغار . فتقدم صاند «جان دى لاروش» Jean La Roche عام 1860م، «الماركيز دى فيلمير» Le Marquis de Villemer عام 1861م .

**الولوج فى إبداع «جورج صاند» الروائى :**

كتبت «جورج صاند» أكثر من مئة قصة ورواية ومسرحية، وبذا تكون قد خلفت وراءها تراثاً أدبياً بلغ عند نشره كاملاً 112 مجلداً .

**رواية : موبرا :**

**حيث الصِّراع بين الحبّ والمشاعر الخامدة العنيفة !!**

فى القرن الثامن عشر كانت أسرة «موبرا» تتفرَّع إلى فرعين، فرع الأخ الأكبر، وفرع الأخ الأصغر، وكان الفرع الأول يتكوَّن من سبعة أشقاء يثيرون الرُّعب فى مقاطعة «بيرى»، ولم يبق من الفرع الأصغر سوى وريثة واحدة هى «إدميه» غير أنَّها تقع تحت سيطرة أبناء عمها الخطرين، لكنها عرفت كيف توقظ غريزة الكرم التى كانت خامدة فى نفس «برنارد» أصغر الأشقاء سناً، فيهربان معاً . لقد كان «برنارد» مغرماً بحبها، وكانت الفتاة قد أقسمت له أن تتزوجه لو أنقذها . غير أن مزاجه الحاد والعنيف، واعتزاز الفتاة بنفسها وكرامتها، وشقاءها بسبب العهد الذى أخذته على نفسها، كانت سبباً فى تأجيل

الزواج وكان من الضرورى أن تمرّ السنوات. وأن يتحكم الشاب فى غرائزه الوحشية، وأن تضطر «إدميه» بسبب بعض الحوادث المفجعة إلى الدفاع أمام الناس عن ابن عمها الذى اتهم بأنَّه كان يرغب فى قتلها، لكى يدرك «برنارد» آخر الأمر أن «إدميه» تُحبّه وأنها ما انقطعت يوماً عن حُبه .

**رواية : ليليا :**

**المرأة التى لم تعرف الحُبّ العارم، وحينما تستيقظ مشاعرها الحسية الشهوية، أخذت تتنقل من رجل إلى آخر، بلا وازع من ضمير !!**

الرواية تدور حول امرأة متزوجة فى مقتبل العُمْر، ولكنها لم تجرب الحُبّ، «ليليا» الحسناء الفاتنة، لكنها باردة كالثلج، وكثيراً ما كانت تصيح من لوعتها : يا إلهي كيف أتحرَّر من هذا الرخام الذى يُقيدنى، كأنى جثة فى تابوت !!

وقبل أن تغرق فى دوامة يأسها، أحبَّها الشاعر «ستينو» حُبًّا عنيفاً ضارياً، لكنه عبثاً كان يحاول أن يحرك مشاعرها، إنَّها شيء آخر خلاف البشر .. إنَّها ظل، حُلم، فكرة، لا تكاد تبدو له حتى تلفحه أنفاسها الثلجية الباردة فتحطم كل شيء!!

تبذل «ليليا» كل ما فى وسعها لتعرف الحُبّ العارم، لكنَّها تُصاب بخيبة أمل .. إن حواسها قد أضعفها طول العهد بالتأمُّلات الصوفية، كما أن أحلامها قد حلقت أكثر ممَّا ينبغى فى أجواء السمو الروحى، لقد نسيت كيف تكون امرأة، والطبيعة كذلك نسيت أن توقظها حتى أصبحت عاجزة عن الهبوط إلى المستوى الخشن لغرائز الحياة، ولمَّا استيقظت من الفاجعة لم يعد أمامها إلاَّ حياة التضحية وإنكار الذات فأقبلت على زوجها تمنحه بهجة لا تحسها ولا تُشارك فيها .. وكانت هذه هى قمة مأساتها، ثمة جوع غريب كان يُعذبها، فتعود تقبل على زوجها تكاد تسحقه بين ذراعيها، لكنها لا تلبث أن تتداعى بجواره منهوكة يائسة، ثمة شيء رهيب كان يقيد مشاعرها وحواسها، حتى ليظل دمها بارداً مثلجاً، وتهرب بإرادتها عاجزة تعسة، على حين يرقد الزوج إلى جوارها

قانعاً مرتوياً .. أمَّا هي فكانت تبقى حزينة يائسة، وحين أقبل الربيع بشمسه الدافئة، بدا لها أن الأمر كلَّه وهم وأن في وسعها أن تحب وأن تتحسس حُبَّها.

«ليليا» التي كانت يُطبق على نفسها خليط متنافر من الرَّغبة والخوف، كان الأمر مُخيفاً مثل الكابوس، حقيراً كالعدم، وإذا راحت تتعزى بأحلامها، أحلام تلاقيها مع عاشق مجهول نصفه إله ونصفه طاغية، أنفاسه الساخنة تُذيب ثلوج تردُّدها، وأسنانه الضارية تنغرز في لحمها، وحبات عرقه تتساقط مع أنفاسه على شفتيها بطعم العسل ومذاق الرضا. كانت المسكينة في شوق إلى المتعة، ولو حلت عليها بعد ذلك لعنة الأبد!! ولكن مع ضوء النهار، تجد نفسها أشد شحوباً من طلائع الفجر، لا تزال تعيش في ليل تعاستها. وتتوالى سقطاتها الواحدة تلو الأخرى، وفي كل مرَّة تشعر بهوان جديد .. لماذا؟ أليست مثل سائر النساء ؟ أليس من حقها المشاركة في تلك البهجة البدنية التي تنعم بها سائر الزوجات؟ ألا يوجد رجل؟ رجل واحد !! .. وهكذا صار البحث عن هذه المشاركة هو غايتها الأولى وهدفها الوحيد كانت تترك أشواقها تطير إلى قمة الأحلام دون جدوى .. حتى انتهت بأن صارت تتفرَّج على نفسها، طالبة إن لم تكن السعادة الحقيقية فعلى الأقل أوهام العاطفة ودروبها لبضعة أيام، لبضع ساعات، للحظة، أي شيء . وأسلمت «ليليا» نفسها لهذه الحياة الجديدة دون وازع من ضمير !!. كانت تخون في كل صباح الرجل الذي أحبته في اليوم السابق !! «ليليا» المرأة الدنجوان تتنقل من رجل لآخر، لأنَّ أحداً منهم لم يستطع أن يمنحها ما تبحث عنه، رجلٌ واحدٌ لا يكفيها!!

**رواية : خطيئة السيد أنطوان :**

**هل الحُبّ وحده يكفي لمحو الفوارق الطبقية بين الأفراد ؟**

صورت «جورج صاند» في هذه الرواية أحلامها عن عصر ذهبي لمحته في المستقبل، وهو العصر الذي سيقرر المساواة والإخاء ومحو الفوارق بين الطبقات الاجتماعية . وقد حلَّت الكاتبة هذه المشكلة المُعقَّدة - ونعني بها محو الفوارق - حلاً ساذجاً بعض الشيء،

عن طريق الحُبّ، فهناك شاب جميل عبقرى لكنه فلاح بسيط يُحب فتاة جميلة وثرية، ذات أصل أرستقراطى، تبادله الفتاة حُباً بحب، وفى النهاية يتزوجان، وهكذا تندمج الطبقات الاجتماعية !!

**رواية : مستنقع الشيطان :**

**قصة جرمان الأرمل العجوز الذى يتزوج بفتاة فى عُمْر أولاده، رُغم أنَّها لا تحبُّه !!**

«جرمان» فلاح بسيط مرهف الحس والوجدان، ماتت زوجته منذ عامين، فألح عليه صهره أن يتزوج من جديد، إذ من الضرورى وجود امرأة للعناية بأبنائه الثلاثة، ولابد أن تكون هذه المرأة ذات خلق وتُحسن التصرُّف، ومن الأفضل أن تكون أرملة، على جانب من الثراء ثم أشار عليه صهره بأرملة تعيش فى قرية على الجانب الآخر من الغابة . وفى مساء يوم من أيام السبت، ذهب «جرمان» وهو مثقل بالهموم لكى يزور تلك الأرملة، فأردف على صهوة جواده ابنه الصغير «بيير» وابنة عجوز من الجيران تُدعى «مارى»، وهى صغيرة السن فى عُمْر أولاده، وقد ذهبت معه لتعمل خادمة فى إحدى المزارع . فى تلك الليلة كان الضباب مُخيماً علي الغابة، فضلَّت الجماعة سبيلها، فقضت ليلتها تحت الأشجار، وأظهرت الصغيرة «مارى» مرحاً شديداً ونشاطاً كبيراً، وحُسن تصرُّف أكبر من سنها، فهام «جرمان» حُبًّا بها، وعلى عكس ذلك فلقد نفر من الأرملة، إذ كانت جريئة فى ابتذال ولعوب، فعاد إلى القرية مصمماً أن يتزوج بـ «مارى» الصغيرة، وجاء اليوم المنتظر، يوم الزواج، فالفتاة لم تصرح لـ «جرمان» بأنَّها لا تُحبُّه لأنَّها كانت تشعر بالحرج كونها من أسرة فقيرة !!

**السمات المميزة لأسلوب «جورج صاند» الإبداعى :**

قد يتوهَّم البعض أن أدبها يخلو من الفن ويعوزه التفكير وحقيقة الأمر أن كتابة القصة فى يدها كانت تنمو كأنها الكائن الحى الذى يبدو بذرة صغيرة ثم يظل آخذاً فى النمو حتى يورق ويترعرع وينتج الثمار، هكذا كانت «جورج صاند» تبدأ وليس فى

ذهنها من قصتها إلاَّ نواة لا يكاد يكون لها شكل أو صورة، وما تزال تنمو على تتابع الصفحات يوماً بعد يوم فإذا بها رواية كاملة مستوفاة شروط الإبداع المتميز .

وكانت «صاند» على وجه الخصوص هى التى استخدمت القصة للتعبير عن الرومانتيكية الغنائية، التى كانت تعد فيضاً لعاطفة متأججة، ولكل الحالات السيكولوجية العنيفة التى نجد نماذجها لدى كل من «بيرون و «شاتوبريان» .

وهى عرفت كيف تتجنَّب كل ألوان التكلف الأدبية، إنها لم تفعل سوى أن كتبت إنتاجها الأدبى بكل يسر، دون تصنُّع، كما لو كانت ترفو ثيابها .

ولمَّا كانت تنزع إلى التأمُّل والأحلام فكأنما خلقت لوصف المناظر الريفية والعواطف الرقيقة الخالصة، لكنها لم تفطن إلى ذلك إلاَّ فى وقت متأخر بعض الشيء .

وأسلوبها القصصى سلس دفاق لا يعترض مجراه الصخور أو الجنادل، فيه اتساق صوتى فى غير تكلُّف ولا تعقيد، فهى ترى المنظر الطبيعى جملة وتفصيلاً، وهى تشعر بروحه وشكله، وهى تتذوق ببطء وعمق تعاريج المنظر الطبيعى، وشكله وهوائه وضوئه وعذوبته ومرحه وكآبته . وهى تتحد بالطبيعة اتحاداً عاطفياً تاماً .

و «جورج صاند» كانت تميل إلى تجميل الشخصيات التى كانت تنتزعها من الحياة الواقعية .

**سمات «جورج صاند» الشخصية :**

كانت «جورج صاند» مُحبة للخير، مضيافة، محبوبة من الجميع، خيالية ولكن بقدر، وكان لها إلى جانب ذلك قدر وافر من رجاحة العقل والتفكير الهادىء، وكان ذكاؤها فى غاية التوقد. كما كانت رشيقة القوام، وواثقة من نفسها، رائعة الجمال . وكانت كذلك شخصية فريدة من نوعها لم ير العالم الأدبى مثلها، فقد تميَّزت بالجرأة والغرابة، فقد خلعت عنها ملابس النساء واستبدلتها بسترات الرجال، وقد فعلت هذا كى تتمكَّن من الحياة كالرجال وتغشى الأماكن التى يتردد عليها الفنانون والكُتَّاب وتجلس فى المقاهى والصالونات العامة

التى لم يكن يغشاها النساء، يذكر أيضاً أنَّها قصت شعرها، وارتدت القبعة العالية، وكانت تشرب الخمر بشراهة، وتدخن السيجار، ولم تتوقف عند ذلك بل غيَّرت اسمها الحقيقى إلى اسم ذكورى استلهمته من صديقها «جول صاندو»، وعندما انتقدها البعض لشذوذ هذه الأفعال ظلت تردد قائلة : «إننى أفعل كل شيء بقلبى، فأنا أُحبّ الحرية» .

كما اعتمدت قيماً مغايرة للمنظومة الأخلاقية المتمثلة فى طبقتها الاجتماعية الأرستقراطية، هذا ويمكننا تلخيص سماتها التى تفردَّت بها «جورج صاند» عن مثيلاتها ونظيراتها فى القرن التاسع عشر فى التالى : السفر، الرحيل، المغامرات، تجديد الصداقات، غزارة الرسائل، العمل على تحرير المرأة، تبنيها للواقعية الاشتراكية، الوقوف إلى جانب المهمشين الريفيين، قبولها الإصلاح الاجتماعى السلمى، رفض العنف المنظم الثورى الماركسى، امتناعها دخول الأكاديمية الفرنسية والترشيح للجنة الوطنية عام 1847، مراسلة «كارل ماركس» و «فيكتور هوجو» و «بلزاك» و «جوستاف فلوبير» و «يوجين دولاكروا» .

**القضايا التى تبنتها :**

ناضلت «جورج صاند» من أجل تحرير المرأة ودفع القهر عنها، كما ناضلت من أجل إعلان حقوق الإنسان، لدرجة أنَّها شاركت فى كتابة الإعلان العالمى لحقوق المواطن، وكان من المتوقع أن يُهاجمها الكثيرون، ولكن بعد مرور مائتى عام على وفاتها أدرك الجميع أن ما كانت تُطالب به عاش العالم فيما بعد صراعاً رهيباً لتحقيقه .

**«جورج صاند» .. والسياسة :**

قد أصابت ديكتاتورية «نابليون الثالث» آمال الشعب فى مقتل، وهو ماشعرت به «صاند» أيضاً، فبقدر جهادها لنيل حريتها الشخصية كانت آمالها مع حرية الشعب وحقوقه وقد استخدمت كل ما تملك من نفوذ وصلات لحماية أصدقائها من الجمهوريين والثوريين الذين تعرَّضوا لنقمة الإمبراطور الجديد.

لقد كانت «صاند» أول امرأة أرستقراطية تتعاطف وتتضامن مع جماعة «كومونة

باريس» وتتدخل لدى الإمبراطور «نابليون الثالث» لإطلاق سراحهم، حيث قامت «صاند» بزيارة مفاجئة للإمبراطور، واعتقد قائد الحرس الإمبراطورى الملكى بأنَّها زيارة رسمية يقوم بها إمبراطور لإمبراطور، لذا لجأ قائد الحرس إلى إيقاظ الإمبراطور من نومه ليعلمه بقدوم «صاند»، وتهيأ الإمبراطور لاستقبالها فى صالونه الخاص وهو فرح من أعماقه بلقائها، واعتبر زيارتها شرفاً وفخراً وتواضعاً منها، سألها الإمبراطور : ماذا تريدين ؟ أجابت : طلبى مستحيل التحقيق، ورد عليها الإمبراطور قائلاً لها : اطلبى ما شئتِ . أجابت : أرجو إيقاف أحكام الإعدام بحق رجالات كومونة باريس (الذين أشعلوا أول ثورة عُمالية فى التاريخ أوصلتهم إلى سدَّة الحكم عام 1871م) فاستجاب الإمبراطور لطلبها، وألغى أحكام الإعدام، وقرر إبعاد رجالات كومونة باريس إلى خارج فرنسا . لم يبق أمامها فى آخر الأمر سوى الاستقرار فى نوهان، تكتب روايتين كل عام، وتمضى أوقاتها مع أهل القرية حتى اكتسبت لقب «سيدة نوهان الجليلة» .

**الأيام الأخيرة «لجورج صاند» .. ورحيلها :**

فى الفترة الأخيرة من حياتها أقامت علاقة أدبية مع «جوستاف فلوبير» صاحب رواية «مدام بوفارى»، وكان «فلوبير» أحد هؤلاء الذين أحبوا تلك المرأة الساحرة وهى فى السبعين من عُمْرها، والتى بادلته عاطفة بعاطفة الأمومة الرءومة . كما أقامت علاقة أدبية أخرى مع «ألكسندر ديماس» صاحب الرواية الخالدة «غادة الكاميليا»، وكانا من المدعوين الدائمين على مائدة «صاند» فى نوهان حتى وفاتها .

وفى 8 يونيو عام 1876م فجع العالم بوفاة «جورج صاند» نتيجة انسداد فى الأمعاء، عن عُمْر يناهز 72 عامًا . وقد حضر جنازتها «فلوبير» وكانت آخر كلماتها : «لا تحطموا الخضرة»!!

وقد رثاها الكاتب الكبير «فيكتور هوجو» بكلمة بالغة التأثير حيث قال : «إننى أبكى وفاة امرأة وأحيى مولد خالدة» .

**ماذا قالوا عنها ؟**

الكاتب الكبير «شاتوبريان» يقول عن «جورج صاند» : «إنَّها لورد بايرون فرنسا»، أمَّا «فيكتور هوجو» فكان يقول لها كلَّما التقاها : «إن النور يُضيء حيث تتواجدين يا سيدتي». ودائماً ما كان «فلوبير» يُناديها قائلاً : «يا أستاذتى العزيزة». ومع ذلك فقد كانت «صاند» تخشى نسيان الناس لها حتى أنَّها كانت تقول : «أعتقد أنَّه بعد خمسين عاماً سينسانى الجميع وقد لا يعترف بى أحد» . ولكن الحقيقة عكس ذلك، فقد جعلت فرنسا من عيد ميلادها عيدًا قوميًّا تقدم فيه عروضاً لمسرحياتها، ويتم نشر رواياتها بأسعار زهيدة .

**من أقوال «جورج صاند» :**

* كلَّما ازداد حُبُّنا تضاعف خوفنا من الإساءة إلى مَنْ نحب .
* إن المرأة التى تترامى على قدم الرجل لن تفوز بُحبه أبداً .
* المرأة تختار الرجل الذى يختارها .
* حُب المرأة الشريرة يقتل غيرها، وحُبّ المرأة الشريفة يقتلها هى.
* لا تثقى بالزوج إذا ابتعد وبالأعزب إذا اقترب .
* الرجل إذا أحبَّ فهو كالثعلب حذر ومراوغ، أمَّا المرأة إذا أحبَّت ضحت وأخلصت وتفانت .
* لا يبيت الحُبّ والزواج فى فراش واحد!!